

لغة الجسد واللاوعي في الفكر العربي المعاصر Body language and the subconscious in contemporary Arab thought

قسم الفلسفة، جامعة الجزائر2، الجزائر	فلسفة	كنزة سليمان kenza.slimani@univ-alger2.dz
قسم الفلسفة، جامعة الجزائر2، الجزائر	فلسفة	جريدة جاري djaouidadjari@yahoo.fr
DOI :		

الإرسال: 2025/10/15 القبول: 2025/12/14 النشر: 2025/12/20

ملخص:

بحث الفكر العربي المعاصر فكرة لغة الجسد , متأثراً بالأبحاث اللغوية , و الأنثروبولوجية , والسيمائية, بعد أن بقي مبحثاً تراثياً في أدراج اللغويات العربية دون أن يطلق عليه تسمية لغة الجسد, و قد اعتمد الفكر العربي المعاصر في مناقشته للغة الجسد على منهج التحليل النفسي معتمداً قطاع اللاوعي أو اللاشعور في إظهار ما لا يقال , و تأثير السلطة في اللغتين الملفوظة و غير الملفوظة , كما أن الفكر المعاصر في إطار إهتمامه بالجسد كمجموعة من العلامات ذات الدلالة بحث في فرعي لغة الجسد وهما: الجانب الإشاري أو الكينزيائي أي الإمتدادات الإشارية للجسد بعيداً عن لغة الكلام من جهة , و الجانب المكاني أو الإمتدادات المكانية للجسد باعتبار أن شخصية الإنسان لا تتوقف عند ما يقوله و إنما تمتد رمزياً إلى الإشارات أو الحركات أو الإيماءات الصادرة عن جسده من جهة , و عن كيفية تنظيمه للمسافة و المكان في إطار علاقته مع الآخرين , و قد ناقش هذا البحث فكرة اللاوعي في المؤلفات الفكرية العربية المعاصرة و كيف أسست لفهم آليات لغة الجسد من إشارات و مسافات .

كلمات مفتاحية: لاوعي; لغة الجسد; بروكسيمكا; كينزياء; لغة .

Abstract:

Contemporary Arab thought discussed the idea of body language, influenced by linguistic, anthropological, and semiotic research, after it remained a traditional topic in the ranks of linguistics without being called body language. Contemporary Arab thought, in its discussion of body language, relied on the psychoanalytic approach, relying on the subconscious or subconscious sector to show what is not said, and the influence of authority in spoken and unspoken language with two branches of body language, which are: the indicative or kinetic aspect, that is, the indicative extensions of the body away from the language of speech, on the one hand, and the spatial aspect, or spatial extensions of the body, Considering that a person's personality does not stop at what he says, but extends symbolically to the signs, movements, or gestures issued by his body on the one hand, and how he

organizes distance and place within the framework of his relationship with others, this research discussed the idea of the unconscious in contemporary Arab intellectual literature and how it established the understanding of the mechanisms of body language in terms of signs and distances.

Keywords : Subconscious; body language; proxemics; kinetics; language.

مقدمة:

بلغة العدل ينبغي وضع الشيء في موضعه و تحميل كل ذات قدر حملتها, إلا أنه لو سرنا بنفس الإعداد في الفلسفة العربية المعاصرة فسوف نجد حمولة أطنان على ظهر فكر عربي مثقل , حمولة ماض عتيق تمنع تسرب الحاضر إليه, و تحارب المستقبل كعدو يجهر بكفره , و تعترف فقط بأمجاد الماضي , و قبائله , و حروبه , و معلقاته , و لذلك لم يولد الفكر العربي المسكين إلا بعد تزاوج من العربي مع نفسه فأنتج ذواتا مثله لا نهاية لها عددا , و لا نهاية لها جاهلية , و نشأ و على رأسه عمامة أبي جهل , و لم ينم إلا في حضن القبيلة , باحثا عن الحرب , ملغيا للآخر و غير معترف إلا بنفسه , مضفيا على نفسه طابع القداسة كما لو كان "المنقذ من الضلال" و الموصل إلى رب العزة و الجلال , محاربا كل أشكال وجود الآخر وكل أشكال الحريات , فراح في إطار عملية الوأد الحضاري يلغي وجود الأنوثة , والسؤال , و الاختلاف , و حق المناقشة و الإعتراض , وراح يدنس الآخر , يتهمة تارة بالعهر , و تارة بالكفر , و تارة بالعدم , وكل أشكال الإزاحة النفسية , أو الوأد الحضاري كآلية دفاع عن وجوده بعد صدمة إكتشاف هذا الآخر الذي قطع الحبل السري مع ماضيه و صنع حقوق الانسان , و نظر إلى الإنسان دون أن يسأله عما ورث من القبيلة , ولا عن سوابق أجداده في الحروب , و لا عمن يكون والده أو عن لغته , أو بشرته , أو جنسه , يكفي أن تكون إنسانا لتكون موجودا لدى الآخر , أما عندما تتغير معالم المكان فللجغرافيا كلام آخر , أليست الجغرافيا مبتدأ اللغة , أليست الحياة في مكان آخر كما يقول الكاتب الروائي الفرنسي "ميلان كونديرا" , فالمكان مبتدأ للسؤال الفلسفي , و لنتفق أن هذه القاعدة قانون أو حكمة أو جرح , و لا نخترع المكان , بل هو من يصنعنا , و يحدث أن يصنع المكان أحباء , وأولياءه و أصفياه , كما يحدث أن يربي في هدوء و طمأنينة السؤال الفلسفي كقنبلة أو لغم متفجر أو عبوة ناسفة لتنفجر عليه في أية لحظة , ولأجل ذلك كان السؤال الفلسفي يقبع في ركن من أركان المكان يلاحظ , و يتدبر , و يتأمل , و يصنع ألغامه بتؤدة و تعقل , و بهذا

جاء تاريخ المغامرة الفلسفية تاريخ تمرد و خروج عن بيت الطاعة و أركانه المنهارة , أو تاريخ خيانة أو قصة خوف , ذلك الخوف القديم بين الفلسفة من جهة و السلطة من جهة ثانية , الخوف من الحاضر, و من الآخر, و من الطيران خارج القفص , و الخوف من الحياة , فالبقاء عندنا متعلق بالموتى بسيرهم و أعمالهم و رجولتهم و شروحيهم و شروح على الشروح و لم ترقص الفلسفة العربية المعاصرة الى يومنا الى على حبل الثنائيات الميتة " الأصالة و المعاصرة, أو الحلال والحرام , وقد سكنت المجهودات الفلسفية داخل قوقعة هذه الثنائيات دون إنارة و دون حرية , و دون تهوية, إنه سؤال حي على الأقل , فلم تحترم حياته , داخل القوقعة, ينام و يتقلب ذات اليمين و ذات الشمال , و كان هنالك كلب باسط ذراعيه مراقبا احترام شروط موت السؤال داخل القوقعة , دون أي مجهود للبحث عن مخرج, لا من القوقعة , و لا من عنق زجاجة المكان , وهو نفس مقصد رواية اسم الورد للروائي الإيطالي ل"أمبريتو ايكو" و الذي تحدث عن شخص كشف سر مقتل عد رهبان داخل دير بعد قراءتهم للنصوص الفلسفية المتعلقة بالضحك وذلك ببث السم في صفحات الكتب , لكون أن المتهم كان راهبا مؤمنا بأن الخوف شرط بقاء و أن التوقف عن الخوف خطيئة , وفي غياب الخوف يتجراً الانسان فيعيش تجربة الحرية , كبرهان على أن السؤال الفلسفي يقبع في كفة و تقبع المقصلة في الكفة المقابلة , و هكذا طرح الفكر الفلسفي العربي المعاصر جل أسئلته داخل القفص : يحده شمالا الحلال, يحده جنوبا الحرام, و يحده شرقا قدراته المثقلة بحمولة الماضي, و أوزاره سابقه , و يحده غربا أمجاد سابقه التي لم يؤمن بها يوما , و بين يده هاتف من صنع الآخر , و ما على الفلسفة إلا التحليق داخل هذا القفص. لقد كان مكتوبا عليه و مقدرا أن يولد داخل المكان المحدود , و يطرح نفس أسئلة الماضي و نفس أسئلة المكان, فالسؤال الفلسفي كان إرثا و لذلك لم تستطع الفلسفة العربية المعاصرة أن تأتي بالجديد كان الفكر العربي متزاجا مع ذاته , و ينشئ نسخا من ذاته , فإن غادر ترك لاحقيه من ذواته بعد تحقيق السنة بالزواج بأربع من سنة خمسة عشر سنة أو أقل , و من داخل القفص تعتقد الطيور التي ولدت بالداخل أن الطيران جريمة , و أن الله أخطأ عندما خلق الأجنحة , و عندما خلق الاختلاف في الأزواق من الأنفس و الثمرات , و بهذا عندما يطبع التجانس المكان فهو دلالة على الموت فالتشابه لا يوجد الا في المقابر , و هكذا نعود الى قصة العدل قصة أن يحمل كل ذات طاقتها فقط , و عندما تختلف معطيات الحمولة أو الطاقة فإن النتيجة تختلف أيضا , و لأجله هناك

من ولد طفلا , و هناك من ولد شيخ قبيلة , فأزمة الفكر العربي المعاصر أزمة طفولة ممنوعة, وأزمة معرفة جاهزة , مطلقة , ومسبقة تلغي الجديد , و النقد , و تلقي القبض على السؤال متى ما تلبس بالفلسفة , و متى ما طرح سؤال الجدوى من التراث الذي يسكن الإنسان في سؤال الناقه , و الجمل , و الكالأ , و الماء , و السيف , و لا يكتفي بعطالته , بل يضيره أن يعمل الآخرون , فاكتشف الفكر العربي بالصدفة- ألسنا أصدقاء الريح -أن سبب تخلفه هو :المجهول الذي يعرفه الجميع , لنجد أنفسنا أمام مصطلح "القواعد من النساء", من الجلوس اليائس أمام الحياة , ومهمتها الوحيدة هي الجلوس بسبحة, وسجادة صلاة إطالة لإعمارها في مناصبها للمحاكمة , و النقد , و الإصلاح , و صناعة الكلام , و المحاربة بالسب و الشتم و النقد تحت شعار " إذهب أنت و رب فقاتلا إنا هاهنا قاعدون", و بهذا نعود لنؤكد بأن المكان مبتدأ الكتابة , و البقية التي تأتي لاحقا , و التي أثبتت وجود قطاعين في الفكر العربي المعاصر وهما قطاع الوعي المقدس لذاته و المضخم لهالته , و المتكلم في قطاع الينبغيات, و قطاع الأخلاق, و في مقابل ذلك قطاع اللاوعي أو اللاشعور الذي يعتبر المجال الأصدق في ولأجله توصلت الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة إلى وجود نمطين للتواصل هما التواصل الملفوظ la communication verbale و التواصل غير الملفوظ la communication non verbal أين يعبر الجسد عن الإنسان أكثر مما تعبر عنه اللغة, و تؤدي لغة الجسد le language du corps عدة وظائف منها: الشرح , و منها التكملة , و منها أيضا كشف التناقض و كشف كذب اللغة الملفوظة, ولذلك برز استخدام منهج التحليل النفسي كطريق بحث في الفكر العربي المعاصر لتبيان الخلفية المسكوت عنها أو غير المقول وهي الثالث الذي تخافه اللغة , وهو الدين , و السياسة, و الجنس , و من الطبيعي أن يصنع الخوف كذبا بواسطة لغة اللسان فقط, أما لغة الجسد فهي مبرجمة على التعبير عن هذا الجسد بشكل صحيح, و يستجيب أن تكذب لحكمة بسيطة وهي أن نفس أداة الكذب وهو الإنسان تأبى أن تشارك الإنسان عملية الكذب لأن كل شيء في الكون يسري وفقا نفسه أو القوانين, والنواميس التي خلق عليها إلا الإنسان الذي منح العقل و تنبأت الملائكة قبل خلقه بأنه سيفسد فيها , و يسفك الدماء بينما كانت هي "الكائنات النورانية المقدسة و المسيح لله , و مع ذلك تم خلق الانسان فأفسد بارتكاب الجريمة , فجاءت لغة الجسد تعبيراً عن حكمة الله في جعل الجسد مسيرا وفقا قوانين

طبيعية تكره الفساد بطبعها , و تحاربه , و لا تشارك الإنسان في عملية الافساد اللغوي " الكذب " , بل تفضحه , وفي هذا التوجه ظهرت بعض الأبحاث الفلسفية المعاصرة في الفلسفة العربية المعاصرة للسؤال عن الجسد " الكلمة " ولأجلها اخترنا هذا الموضوع مبتغين إجابة عن الإشكالية الآتية :

كيف نظرت الفلسفة العربية المعاصرة الى خطاب الجسد؟

وللإجابة عن هذا التساؤل قمنا باستخدام منهج التحليل للنظرية من خلال عدة مؤلفات معاصرة ومقارنة الأبحاث ببعضها , وقمنا باستخدام المنهج الاستنباطي متبعين فرضية أن الفكر العربي المعاصر توصل في نصوصه إلى استخدام منهج التحليل النفسي لدراسة الذات العربية و البحث في مشكلتي النهضة , و التخلف بناء على فرضية وجود قطاع في اللغة العربية يقول ما لا تقوله اللغة . ولأجله قسمنا عملنا إلى نقطتين مهمتين كالآتي :

أولا - الامتدادات الإشارية في الفكر العربي المعاصر:

في إطار تطبيق منهج التحليل النفسي في الفكر العربي المعاصر برزت عدة أسماء قامت بعملية تحليل لبنية هذا الفكر لتتوصل إلى وجود ما يقال في إطار قطاع الوعي ووجود ما لا يقال أو التابو , أو المسكوت عنه , أو المحرم في إطار اللاوعي , وبالرجوع إلى فكرة الجرح النرجسي الذي يستلزم إتخاذ موقف الابراء بالاعتراف بالمشكلة الحضارية المتمثلة في تخلف الفكر العربي المعاصر إزاء الفكر الغربي أو موقف الإنكار بالتقوقع حول الذات وتقديسها و إضفاء طابع القداسة و إنكار الآخر ووأده , وإزاحته كآلية دفاع نفسية لإسترجاع التوازن المفقود بعد الجرح النرجسي , و من بين أهم الأسماء في الفكر العربي المعاصر " عبد الله القصيمي " الذي ذهب إلى أن الكلام في الفلسفة العربية قديما , وحديثا صار مثقلا للأذن و, قد خرج الكلام عن حده ليصير هو الشغل الوحيد في غياب للعمل , والإنتاج المادي , أو الابداع , فيتكلم عن الآخر " الغرب " كما لو كان الفكر العربي يملك ملكة الحكم غير مؤمن بوجود الآخر , و غير معترف به , و لذلك يرى " عبد الله القصيمي " أن الفكر المعاصر عاقب تاريخه , و الحمولة التي أثقلته من التراث كما سبق و أن مر علينا بالكلام , فمهمته الوحيدة هي الكلام كمهة سابقية من نظم الشعر , و العمل على تعليقه و نشره , فهو يعمل بالكلام و , ويحارب بالكلام , سلاحه هو الصوت , فهذا الأخير عامل مهم و

فيه شتيمة للآخر، ونقد له، وإلغاء وإزاحة، ورفض، في مقابل تقديس ما توصل إلينا من قوقعة ثنائيات عتيقة يجب أن نفكر داخلها لا خارجها. عبد الله القصيمي، العرب ظاهرة صوتية، منشورات الجمل، ط 2، المانيا، 2006

فالقصيمي يرى أن الكلام الفلسفي المعاصر إمتداد للفكر القديم فلا جديد فيه سوى إعادة تدوير نفس الأسئلة سؤال الثنائيات من ثنائية الحلال والحرام، والأنا والآخر، والأصالة والمعاصرة المادية والروحية دون مخرج منهما ودون نية جادة في إيجاد مخرج عنق الزجاجة، فالسؤال الفلسفي كان جاهزا منذ البداية وما على الفكر العربي المعاصر سوى طرحه فقط، لم يكن التفكير مهمة هذا العقل المسكين المغتال كما يقول "برهان غليون"، بل كان التفكير حكرا على الماضي أو سلطة خفية ما، التفكير داخل القفص جريمة تماما كحرية التحليق للطيور التي تولد داخل القفص، وفي حضن الجلال، وفي جوار المقصلة، باحثة عن فتات خبز، أو موطن قدم في ركب ما، ولأن السؤال الفلسفي يكون جاهزاً للطرح، ولا مجال للتفكير في الحاضر إلا من معطيات التراث فإن الفكر المعاصر أورث ما وصل إليه من إرث سؤالي إلى لاحقيه بعد أن حفظه هو عن سابقيه، كدلالة واضحة على خطورة التغيير في الفكر وتنظيف الأماكن التي دنسها غبار السنين من الأفكار، وأن طرح سؤال جدوى التراث هو بمثابة الشوكة التي سوف تفجر بالون الحمولة التي يحملها الفكر العربي المعاصر، ولسنا مع فكرة التخلي التام عن مقومات الهوية العربية لكن العدل يقتضي أن نعطي كل ذي حق حقه، دون أن نبخسه شيئا، ولذلك في مقابل الثورة الرقمية التي تستطيع تغيير معالم الكرة الأرضية بلمسة، بل وتفجيرها أيضا، وجد هذا الفكر العربي المعاصر يلوك الكلام ولا يعمل، بل ويضيره أن يعمل الآخرون، لا يزال مؤمنا بخطر الفلسفة فلم يسمح لها بدراسة الفلسفة بل تاريخها فقط أما الفكر الحقيقي فلم يوجد يوما، كل ما كتب كان عبارة عن شروح ونقد لكل ما سبقت كتابته من الأموات، أما الأحياء فلا موطن قدم لهم في الفلسفة، ولذلك فإننا اخترنا مجال الفكر المعاصر بحثا عن الإحياء وقراءة للمعاصرين ممن إشتغلوا بالفلسفة باعتبارها أداة سوس و تسلط و تفتيش، كما أشار إليه الروائي الإيطالي "امبرتو إيكو" في مؤلفه "إسم الورد" أين اعتبر جرأة السؤال الفلسفي شوكة تمثل خطرا على البالون المنفوخ للسلطة في أي زمان ومكان، فإن كانت السلطة عادلة نظرت الى الحق دون أن يضيرها شيء منه، لأن الحق من

صفاته الوحدة فلا يتغير حسب المصالح , و الأشخاص , و لا حسب الزمان , والمكان, بل وحده الباطل من يمكن تغييره , و منحه ألف نسخة و رواية حسب الحاجة , أما الحق فله رواية واحدة لا تتغير حتى في الجحيم , و لذلك يرى "القصبي" أن الكلام الداخل في قطاع الوعي العربي تعبير صوتي لا أكثر, فالكفر صوت , والإيمان صوت , و الفكر المعاصر متوهم لذة الإنتصار على الآخر بالصوت , فهو يهاجمه شعرا , و يعمل بالكلمة , و يتزوج بالكلمة , و يطلق بالكلمة , و أن ازمة هذا الفكر حسب تشخيص " القصبي" هي الإصابة بمرض الكلام . القصبي , ص 113

فالفكر المعاصر يحمل ضجيجا خطابيا , فالمهم هو الكلام لا العمل , فلا مثيل للأذن في الفكر العربي,

و لامتيل لحنجرته في تسامحهما وفي تنازلهما عن اشتراط القواعد و الحدود مع الأشياء , و مع الأشخاص , و مع نفسه , يسبح في الهواء الطلق متى ما تعلق بغير المعنى , أما المعنى فلا يظهر إلا في لغة أخرى هي لغة الجسد , لأن الإنسان العربي حسب القصبي اعتدي و لا يزال يعتدي على أذنه و على حنجرته بالكذب فيقول ما لا يملك ويتباهى بحمولة أثقلته و صنفته مع الموتى في المضي وهو على قيد الحياة , و لذلك فضح سؤال الجسد قطاع اللاوعي في الفكر العربي فلم نعد نصدق ما يقال لنا , إيماننا بفكرة أن الإنسان هو المبتدأ أما اللغة فتأتي فيما بعد. القصبي, ص 119,

وهي نفس الموقف الذي طرحه المترجم و المفكر المعاصر " جورج طرابيشي " الذي ذهب إلى أنه وجدت عدة اكتشافات هزت تاريخ العالم في إطار قطيعة علمية في مجال الرياضيات مع الهندسة و في مجال الفيزياء مع "غاليلو غاليلي" و في الإقتصاد مع "ماركس", و في علم النفس مع "فرويد" الذي جاء بمفهوم الجرح الترجسي فتاريخ الإنسان قد تعرض إلى ثلاث طعنات بقي أثرها إلى اليوم , الأولى مع "غاليلو غالي" الذي أثبت أن الأرض مستديرة مبددا وهم سطحيها , فانتقل الإنسان من كونه مركز الكون إلى كونه ذرة من ذرات هذا الكون , و الصدمة الثانية كانت في مجال البيولوجيا مع "تشارلز داروين" في نظري النشوء و الإرتقاء , فوضعت حدا للفضائل الإنسانية بمشابهة عالم الإنسان بعالم الحيوان , أما القطيعة النفسية الثالثة فكانت مع "سيغموند فرويد" عندما توهم الإنسان أنه متحكم في نفسه و

في الكون ليأتي "فرويد" فيما بعد و يبدد هذا الوهم و يثبت أن الانسان ليس أصلا سيذا لنفسه, فقد كان "فرويد" استمرارا لشارلز داروين, و لماركس, و لكوبرنيك. فيصل عباس التحليل النفسي و قضايا الإنسان و الحضارة دار المفكر اللبناني ط 1, 1991 ص 101

و يشير "طرايشي" إلى أن كثيرا من أعمال العنف و الإرهاب و كل أنواع التطرف نتاج عن المسكوت عنه, و المقموع, و المكبوت, و ذلك رد فعل بإزاحة الآخر و إلغاءه كي يفسح المجال للعقل العربي في تقديس ذاته ناظرا إلى نفسه في مرآة عينيه المعجبتين بنفسه, و في غياب للمرأة, أو أي شاهد حضاري, و مع تكميم للأفواه و إغتيال, و إعتقال لكل من يطرح سؤال الآخر, فنحن بخير والحمد لله, و التخلف المشار إليه ليس إلا وهما فلسفيا, في إطار عملية إنكار تامة للوضع ردا على الجرح النرجسي كآلية دفاعية تبرر النزعة التدميرية للآخر في ثنايا الفكر العربي المعاصر. فيصل عباس 1991 ص 101

فالتحليل النفسي هو المنطلق الذي اتخذه الفكر العربي المعاصر في فلسفة "جورج طرايشي" للخروج من دائرة الثنائيات, و ذلك من خلال مؤلفه "المرض بالغرب" لإثبات أن العلاقة بين الأنا و الآخر هي علاقة مرضية "باثولوجية" مسقطا البطولة الحضارية على فكرتي الذكر و الأنثى, فالعربي لم يرى في الغرب سوى الأنثى التي افتقدها, تارة ينظر إليها بشوق و لهفة, و تارة يرميها بالعهر و الخزي و العار, و انعدام الشرف, و بما أن الفكر العربي استمتع بالغرق حتى أذنيه بعملية تجنيس الآخر جاعلا ما يحكم العلاقة بينهما كفكرتي الحب و الحرب وفقا لجورج طرايشي فإن كثيرا مما لم يقله الإنسان العربي بلغته قاله جسده بشكل لاواع. الطاهر ليبب صورة الآخر العربي ناظرا و منظورا إليه, مركز دراسات الوحدة العربية لبنان ط 2 2002 ص 5

وهو نفس ما سبق و أن ذهب إليه "فرويد" و ليس بغريب لكون جورج طرايشي من المترجمين لأعمال سيغموند فرويد. الطوطم و الحرام -سيغموند فرويد ترجم جورج طرايشي دار الطليعة لبنان ط 1 1993 -

اكتشاف الآخر بحريته و تنظيمه كان صدمة للقبيلة في رأس العقل العربي, و لذلك برزت عدة أعمال فلسفية معاصرة تعيد الاعتبار للجسد ككلمة, و تمنح لشخصيته إمتدادات إشارية متمثلة في لغة الجسد كتعبير عن اللاوعي أو اللاشعور الفاضح و الراض لقطاع

الوعي الكاذب في الفكر العربي المعاصر، و من بين هذه الأسماء نعث على المفكر المغربي "فريد الزاهي" الذي نظر إلى الجسد كمجموعة من العلامات ذات البعد التواصلية، فشخصية الإنسان لا تتوقف عند ما يقوله هو، أو ما يعبر هو به باللغة، بل تمتد شخصيته إلى الإشارات الصادرة عن الجسد من إيماءات كتعبير عن الانفعالات الست المعروفة عالميا و كل الانفعالات الأخرى المتفرعة عنها. فريد الزاهي، الجسد و الصورة و المقدس في الإسلام افريقيا للشرق لبنان 1999 ص: 29

فقد ناقش "فريد الزاهي" الجسد باعتباره كلمة تقول أهم مما يقوله اللفظ وهو مجال مسكوت عنه تقريبا في مجال التراث الفلسفي بالنسبة إليه. فريد الزاهي، الصور و الآخر رهنات الجسد و اللغة و الاختلاف دار الحوار سوريا ط 1، 2013 ص 97

إلا أننا لا نوافق على هذا المنطلق فالدراسات اللغوية السابقة تطرقت إلى موضوع لغة الجسد ومع الإمام "الغزالي". المستصفي في علم الأصول،

كما وجدت معالم اتفسير لغة العيون و لغة المسافة مع "ابن حزم". طوق الحمامة، ابن حزم، طوق الحمامة في الألف و الألاف، 2016 (ط 1، مصر، مؤسسة هنداوي

و مجمل ما توصلت إليه الأبحاث الفكرية المعاصرة بعد طرح السؤال الفلسفي حول الجسد هو أن لغة الجسد هي لغة نابعة من حركات الجسد البشري مكمل للغة اللفظ، و تنبع من خلال استخداماتنا للزمان و المكان، و يدخل في نطاقها تعبير الملابس، و الحلي، و الوشم، و العطور، و حركات الجسد، و وضعياته، و تعبيرات الوجه، و طريقة الجسد في اللمس، و نبذة الصوت، و تنقسم إلى تعبيرات إرادية و أخرى غير إرادية، فالإرادية يمكن التحكم فيها عن طريق صاحبها مثل إدعاء البكاء، أو الابتسامة الزائفة فيمكن مبدئيا تمثيل الانفعال عن طريق حركة لغة الجسد، إلا أن هناك علامات أخرى يجب الاستناد إليها فضلا عن سياق الحركة في الحكم على الحركة و معناها، أما الحركة غير القصدية فهي احمرار الوجه الذي لا يمكن التحكم فيه، و كذا شحوب الوجه، و التعرق دلالة على الانفعال، و هو الفرع المسى الكينيزياء أي الإيماءة "الكينام" الحركة الصغيرة، و المبحث الذي ظهر مع المفكر الأمريكي "راي بيردوستيل". صالح خليل أبو اصبع العلاقات العامة و الاتصال الإنساني ط 1 بيروت دار الشروق 1998 ص 36

و لعل من بين أهم الأسماء البارزة في الفكر العربي حول موضوع لغة الجسد و علاقته باللاوعي هو "عبد الكبير الخطيبي" في "الاسم العربي الجريح" الذي يعتبر من خلاله أن الجسد قوة لغوية و مركزية ,كانطلاقة لفهم شخصية الإنسان و النبش فيما لا يستطيع قوله, من خلال نبرة الصوت و التعطر, والوشم ودلالات كل ذلك مشيرا إلى أن فكرة الجسد في التراث الإسلامي تعرض إلها مجال الفقهيات الذي ربط الجسد بالجانب البيولوجي أو الليبدو فكان عبارة عن خط أحمر يتوقف عنده الكلام والشرح و التحليل , فالجسد طاقة لغوية تحمل الأدلة المهاجرة من نسق إلى آخر .عبد الكبير الخطيبي الاسم العربي الجريح ص 50 الى 55 ترجمة محمد بنيس منشورات الجمل بيروت 2009 ص: 2 و 131,81 15

كما نعث على اسم من أهم الاسماء في الفكر العربي المعاصر ممن أعطى أهمية للغة الجسد وهو الباحث اللبناني "علي زيعور" و الذي تطرق إلى مجال لغة الجسد في تحليل للاشعور في الذات العربية, فيرى أن لغة الجسد تمثل الجانب الضلي لشخصية الإنسان و أدخل كل حركات الجسد إلى مجال السيمياء بحثا عن دلالة كل "كونيم" وهي الحركة الصغيرة ,أو الميمات أو الإيماءات التي تدرس الكينيزياء ,أو السينيزياء, أو الركحيات, و قد اعتبره اللامتعضي, أو الصامت, أو المستور أو اللاقصدي وهو بعد خفي أطلق عليه تسمية "الجسدانية" فمعرفتنا بالآخر حسب "علي زيعور" متوقفة على جسده كنوع من أنواع الفراسة المعاصرة التي عادت للظهور بثوب جديد, فالإنسان يتكلم بلسانه كما يتكلم بجسده , فخطاب الجسد يفضح خطاب اللسان المكبوت, فاللغة اللفظية قد تخفي و قد تنافق ,وقد تزيّف, و قد تقمع, أو توارى , وفي الحالات المرضية فإن الاستماع إلى لغة الجسد يكون مجديا للتوصل إلى ما يخفيه المريض النفسي, و قد سعى لغة العين أو طريقة النظر كتعبير عن التواصل بالحداجة كتخاطب بين الأنا و الأنت , وهي فكرة موجود في التراث اللغوي العربي في لغة العرب مع "الثعالبي" في "فقه اللغة" و "العسكري" في "فروق اللغة", فوفقا ل"علي زيعور" تأثرا بالتراث اللغوي العربي يسمى النظر بعين المحبة "نظرة ذي علق", و النظر بمعنى التهديد يسمى حمج, أي فتح عينيه مفزعا او مهددا ,و النظر الكاره يسمى الشفن ,و نظر العداوة يسمى الشزر ,كما بحث لغة اليد ,أو" الايادة" أو "الايديّة أو "الصباغة" وهو المجال الذي يستخدم فيه الجسد يديه بما تحملانه من أصابع

كدلالة.علي زيعور، اللاوعي الثقافي و لغة الجسد و التواصل غير اللفظي في الذات العربية
دار الطليع بيروت ص 94

و بعد أن كان الفكر العربي يكتب خارج جسده و كأنه غير معني بجسده وفقا ل"علي
زيعور" فقد حول هذا الفكر مسار أبحاثه تأثرا بالفكر الغربي المعاصر، و أعاد الاعتبار
لفكرة الجسد المركزي منطلق الكلمة لتصبح فكرة لغة الجسد امتدادا لشخصية الإنسان
دون أن تتوقف الحقيقة على ما يقوله هذا الإنسان بكلامه الملفوظ.

المكان/ الكلمة في الفكر العربي المعاصر:

ثانيا - "الإمتدادات المكانية" للجسد

يعتبر المكان و المسافة كلمة و تعبيرا أيضا عن الانسان وفقا لمبحث البروكسيمكا
proxemics الذي يعنىدراسة استخدامات البشر لحيزهم و تنظيمهم للمسافات
فيما بينهم و بين العالم المحيط بهم , كأساس مشترك بين الاحتياجات الانسانية و
الحيوانية للأرضية أو التشبث بالمكان , و تتنوع ترجمات المصطلح "بروكسيمكا" و منها
الأرضية , و الإقليمية , و علم دراسة المسافة و المكان, و علم دراسة الحيز البشري , و علم
القربعية, و علم التداني , و علم المساحة البشرية , و علم العلاقة بالمسافة , و علم التقارب
, علم التداني, و علم دراسة المدى التفاعلي و خطوط التماس الاجتماعي , و تعود أصوله إلى
الباحث الأمريكي "ادوارد ترشيت هيل" 1914 – 2009 و الذي يرى بأن كل كائن حي في هذا
الكوكب بدءا من الخلية إلى الانسان وصولا الى الماكروبيولوجيا له احتياجات مكانية
متعلقة بحريته و أمنه و راحته و تكون امتدادا لجسمه فشخصية الانسان لا تتوقف عند
الجسد , و إنما تمتد إلى الحيز الجغرافي الذي يحيط بالجسد فيعبر دخول الحيزعلى معنى
الود و القرب أو العدوان , وهذا الحيز الجغرافي عبارة عن فقاعة أو مجال أو مدى يوفر
مساحة و أمنا للكائن الحي فيدافع عنه كحاجة بيولوجية لها ما يبررها في علم سلوك
الحيوان لأنه كائن حي متشبث بإقليمه فيما يسمى بالإقليمة و يتعرض للخطر فإنه يبدي
ثلاثة ردود فعل أساسية هي: الهروب و الهجوم و التجمد , فالهروب و ابتعاد الكائن الحي
عبارة عن ترك مسافة بينه و بين مصدر الخطر وهو بالنسبة للحيوانات المتوسطة الحجم
و القوة , و الهجوم بالنسبة للحيوانات القوية التي تحتاج مسافة أكبر من الحيوانات
المتوسطة الحجم , و ذلك كون أن الحيوان القوي بحاجة إلى مسافة أكبر بالنظر إلى حجمه

و قوته و إن تطلب الأمر التعدى على مسافة الحيوانات الأخرى في اطار الصراع من أجل البقاء ,أما الحشرات و الكائنات الصغيرة و الضعيفة فتتجمد في مكانها متأقلمة مع الخطر كما لو كان التجمد موتا مؤقتا و آلية دفاع حيوانية , وحسب " ادوارد هال " صاحب نظرية البروكسيميكافالحيوان يتغير سلوكه حسب المسافة ,فقد يمرض و قد يموت , و قد يبدي سلوكا عدوانيا متى ما تغيرت المسافة بينه و بين حيوان آخر , ومثاله أن أنثى أي حيوان متى ما وضعت صغارها في إقليم ما فإنها تعتبر ذلك الإقليم امتداد لها , و جسدا لها و لصغارها و تقع عليها مسؤولية حمايته فلا تترك أي كائن اخر يقترب منه . (غينفز ديفيد، 2009، 210)

و يقسم "هال "المجال إلى أربعة أقسام هي: المدى شديد الخصوصية ,كمنطقة يحرسها الإنسان و لا يسمح لأي بدخولها او بالالتصاق به و ترمز لكرامته , و لشخصيته و يقع دخول شخص ما في هذا المدى لمعنيين إما أنه مقرب جدا أو متطفل و معتد , ويتراوح من 46 سم الى 120 سم , و المدى الخاص الاجتماعي او البروتوكولي بين 120 سم الى 3 أمتار , و المدى العام الذي يتراوح من ثلاثة أمتار فما أكثر (هال ادوارد تارشيت، 2007، 67)

و يشير " إدوارد هال " إلى أن فكرة العدوان تنبع أصلا من فكرة الخوف من إقتحام المكان كمساحة غير مرئية يتهاون فيها الأشخاص. (مسنجر جوزيف، 318)

وقد أعاد الفكر العربي المعاصر الاعتبار الى الحدود المكانية من خلال الأبحاث البروكسيمية مع الباحث اللبناني "علي زيعور" الذي أسس لوجود احتياجات مكانية "بروكسيمية" من خلال عدة مؤلفات استنادا إلى علم سلوك الحيوان , و يرى أنه من الناحية التراثية أن حاجة الإنسان للمسافة فكرة موجودة كقاعدة ملزمة في مجال الأخلاق أو الدين فيما تعلق بامتداد الجسد الذي لا يتوقف عند نهاية الجسد و إنما يمتد إلى ما وراءه ولذلك يمنع قطع رقبة المصلي أثناء صلاته كدلالة على أن المسافة بين المصلي و مكان السجود هي مسافة ذات طابع قداسي, أو حيز شديد الخصوصية لايدخله أحد , إلها كنوع من أنواع الحميمية التي يمثل الدخول إليها قطع الصلاة أو عدوانا على المصلي , فاكتست طابع الإلزام هذه القاعدة الفقهية منذ بداية الدين الإسلامي وإن لم تكن البروكسيميكامعروفة بهذا الإسم الا أن المعنى كان موجودا في التراث الديني كنوع من

أنواع التنظيم المكاني للبيت تحت مسمى "الآداب" أو "الإتيقا"، أو "الينيغيات" المنظمة للعلاقات والأماكن، بسن قواعد أمره يقع على الإنسان الوقوف عندها. وهو نفس ما ذهب إليه المفكر الجزائري "مالك شبل" الذي أعطى للجسد بعدا مكانيا يعبر عن وضعية الاجتماعية وعن مكانته فيما يسمى بـ *corporalite* في كتابه تقاليد الجسد في المغرب، فالجسد بالنسبة لهذا المفكر الجزائري عبارة عن مجموعة من العلامات، تمثل العلاقة بين الإنسان والمقدس، وبين الحرية وبين الرقابة من جهة ثانية، وكذا يبين العلاقة بين الرمز والدلالة من خلال الممارسات الدينية كالوضوء والاكل والختان والحجاب وهي كلها ممارسات دينية تعطي بعدا رمزيا للجسد وتحويل الى كائن ديني مرتفع بدرجة عن الكائن البيولوجي الا انه أضاف معنى انسنة الجسد من خلال بعض الممارسات التي تعطي لعلامات الجسد معنى فالحياة دلالة تعبر عنها القفافة الدينية وهنا لا يختلف "شبل" عن "راي بيردويستيل" و"هال" في الأبحاث اللغوية بجعل الجسد علامة ثقافية هذا من جانب الإشارة اما من جانب الاحتياجات المكانية فإن هذا الباحث الجزائري ميز بين انواع خطوط التماس الاجتماعي أو مجموعة القواعد المكانية المنظمة للعلاقات تماشيا وأبحاث المفكر الأمريكي "ادوارد هال" في اطار الاحتياجات البروكسميكية.

خاتمة:

اللغة الموازية للغة الكلام التي صار البحث فيها متكررا خلال القرن الحالي وهي لغة الجسد لم تكن سوى بحث نفسي في قطاع اللاوعي العربي الذي يمارس سلطة الاخفاء، فنطق الجسد لم يكن سوى وسيلة تواصل تبين كذب اللغة الملفوظة بعد أن أعاد الفكر العربي في أبحاثه الاعتبار لملاحظة الجسد باعتباره أداة كذب وباعتباره أيضا أداة لكشف نفس الكذب، وأن الفكر المعاصر بتوجه النفسي مستخدما علم التحليل النفسي وبنبشه قطاع اللاشعور الجمعي عاد أدراجه من حيث بدأ، وراح يكذب كل الخطابات والأقويل و يصدق ما يبرزه هذا الجسد، وبهذا قفزت الفلسفة العربية المعاصرة إلى الضفة المجاورة باحثه عن خطاب يعبر عن الشيء في ذاته، خطاب صادق بعد أن تم اغراق المجال الفلسفي بالكلام المقول سابقا وبالأسئلة التي سبق طرحها، وهي خطوة عظيمة في الفكر العربي المعاصر وإن كانت في نبذها المبكرة جدا فلم تتعمق في دلالة لغة الجسد كما يحدث في

الفكر الغربي المعاصر , و لم تستطع نقل لغة الجسد إلى مجالات أخرى تكون أكثر افادة مثل علم الإجرام لمساعدة أجهزة العدالة للكشف الجريمة و الحد منها لاحقا , و في قطاع التربية بتربية جيل يتأمل و يتسائل و يقارن بين الحركات و الكلام ومالكا أداة الغربة بين ما هو صحيح و ما هو خاطئ ,دون أن يكون مستهلكا لكل ما يصب فيه ,هذا و أن رؤيتنا للغة الجسد أيضا يمكن دراستها لاحقا في إطار البعد الصوفي لها لتقاطعها مع الفراسة, و الوسامة و البحث في حقيقة الأشياء كمهمة تقع على هذا العقل الذي راح بين النجدين: الصواب و الخطأ يسعى لصناعة أفضل نسخة منه, ظاهرا و باطنا دون أن يبخل لا نفسه, ولاغيره شيئا من الحقوق .

قائمة المراجع:

- فيصل عباس التحليل النفسي و قضايا الانسان و الحضارة دار المفكر البناي ط1 1991
- القصيبي عبد الله العرب ظاهرة صوتية , منشورات الجمل , ط 2 , المانيا , 2006
- زيعور علي , التربية و الأدابية و التواصل في قطاع أهل الحديث و الفقه و العبارة (1993
(, ط1 , بيروت , لبنان , مؤسسة عز الدين للنشر .
- زيعور علي , اللاوعي الثقافي و لغة الجسد و التواصل غير اللفظي في الذات العربية (, 1998
بيروت لبنان , دار الطليعة.
- ابن حزم , طوق الحمامة في الألف و الألاف, (2016 , ط 1 , مصر , مؤسسة هنداوي
- السمعاني عبد الكريم , آداب الإملاء و الاستملاء (1984 , ط 1 , بيروت , دار اقرأ .
- المرادي, كتاب السياسة أو الإشارة في آداب الإمارة و يليه :النهج السلوك في نصيحة الملوك
(, 2003) تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل و أحمد فريد المزيري , بيروت
لبنان , منشورات محمد علي بيضون , دار الكتب العلمية.
- هال ادوارد تاتشيت, البعد الخفي , (2007 , ترجمة: لميس فؤاد اليحي , ط 1 , , الأردن , دار
الأهلية.

الطاهر لبيب صورة الآخر العربي ناظرا و منظورا اليه مرز دراسات الوحدة العربية لبنان
ط 2 2002 ص 5

فريد الزاهي , الجسد و الصورة و المقدس في الإسلام , افريقيا للشرق لبنان 1999 ص 29

الصور و الآخر , رهانات الجسد و اللغة و الاختلاف, دار الحوار, سوريا , ط 1 2013 ص 97

Malek Chebel, le corps dans la tradition au Maghreb , op.cit ,p 54-55